مجلة الريادة للبحوث والأنشطة العلمية
Al-Riyadah Journal For Researches And Scientific Activities
العدد الثاني
سبتمبر September 2021

ديانة مصر القديمة(دراسة في بعض العقائد)

أ. فتحي حسن سعد

قسم العقيدة – كلية أصول الدين – جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الاسلامية

المقدمة

كانت الديانة المصرية مرحلة من تاريخ مصر القديم؛ لكونها أساس الحضارة والعمران فيها. فالحضارة المصرية القديمة هي حضارة دينية؛ لأن الكهنة والناس نزعوا نحو عنصر الدين، فلا يمكن فصل الفكر الديني عن الحياة فيها، فالمجتمع المصري ارتقى روحياً بخياله وأساطيره التي حاول بها تفسير الكون وعوالمه، فنزع كثيراً في الحس الديني واصبح جزاءً كبير من وجوده وكيانه، وبهذا الاستغراق في مظاهر الطبيعة وتفسير ظواهرها، تعددت الآلهة وتنوعت من آلهة أسطورية إلى حيوانية إلى بشرية، ويعد هذا البحث محاولة في كشف بعض العقائد التي نتجت عن تلك الاساطير. حيث أن الهدف الأساس لهذه الورقة هو توضيح الفكر الديني المصري القديم من خلال دراسة بعض العقائد المصرية القديمة والتي نعتقد أنها السمة الرئيسة لهذه الديانة؛ وهذه الدراسة ليست نقدية، ولا تأريخية، إنما هي تقريرية على المنهج الوصفي، وبالتالي فالبحث مهمته طرح هذه العقائد أمام القارئ.

حيث قُسمت الورقة البحثية إلى أربعة مباحث :

المبحث الأول : حول أساطير خلق الكون التي حاول من خلالها الفكر الديني المصري القديم تفسير نشأة الكون الأولى وأصل المظاهر الكونية والبشرية.

المبحث الثاني: وتحدثت فيه عن أهم الآلهة وأعظمها واكثرها انتشاراً في مصر القديمة، بالإضافة إلى تنوعها.

المبحث الثالث:عن التوحيد، وهو بمثابة توضيح عن الخلط الحاصل حول دعوة امنحوتب ونسب بعضهم له بأنه يدعو إلى توحيد الله تعالى، مع ذكر دعوة الأَنبياء إلى عبادة الله تعالى الواحد الفرد الصمد.

المبحث الرابع: وتحدثت فيه الموت والحساب، وكان القصد منه تبيين عقيدةِ المصريين القدماء حول اليوم الآخر والحياة بعد الموت، وكل ذلك كان بالأساطير.

توطئة

إن الدين لم يغب عن حضارة المصريين القدماء، ويبدو أنه شغل ركنًا أساسيًّا وكبيرًا من حياتهم، لدرجة أن بعض العلماء يرى أن التأريخ للدين في مصر القديمة يعد تأريخًا للحضارة المصرية القديمة؛ لأن الدين هو الذي دفعهم إلى بناء المقابر الضخمة، وجعلهم ينقشون على الحجر ويكتبون في ورق البَرَدَي، ويُخلدون الأناشيد والمواعظ المقدسة؛، وبهذا تعددت الآلهة المعبودة في مصر القديمة ما بين آلهة أسطورية وحيوانية وبشرية، ولا يخفى على المتخصصين في دراسات الأديان أن الأساطير كان لها دورُ أساس في بناء الفلسفة الدينية في مصر القديمة؛ إذ كان لسلطة الكهنة على الشعب وحتى على الأسر الحاكمة دور في قبول وانتشار ما يراه الكهنة من صياغة للديانة الرسمية في بلاد مصر، فقد كانت مصر القديمة تحفل بأنواع شتى من الأديان والمعبودات، ولكن للدولة ديانة رسمية عَمِلَ الكهنة على صياغتها وإخراجها إلى الناس بالشكل المقبول، وذلك يتطلب صياغة أساطير تدعم آراءَهم وأفكارهم حتى تلاقي ديانة الدولة القبول والانتشار، ومن أشهر هذه الأساطير في تراث الديانة المصرية القديمة أسطورة ثالوث الآلهة "ايزوريس" إله النيل وزوجته "ايزيس" <ألهة الخصوبة> وحورس ابنهم؛ هذه الاسطورة التي قدمت فكرة الإنسان المؤله وفكرة الإله المجسد في هيئة إنسان. وهي فكرة تقديس الآباء في مصر الذين يمثلون الثالوث المصري المقدس[1].

فعنصر الدين كان هو الاساس الأول بالنسبة للمصري القديم، وهو المحور الذي تدور عليه شخصيته، فالدين يمثل كل شيء في حياتهم على اختلاف طبقاتهم، ومواطنهم، فكل الآثار تدل على سيطرة العنصر الديني على كل شيء في الحضارة المصرية القديمة، وتبرز سيطرة الدين في كتاباتهم، وعاداتهم وتقاليدهم، والحياة الفكرية، وفي شؤون الحكم وذلك يقود لشيء واحد وهو تطبيع حياتهم؛ لتنسجم مع مقدساتهم التي يخصونها بالعبادة. والديانة المصرية كانت أول الديانات الوضعية وأن الديانات التي ظهرت فيما بعد قد تكون تأثرت بعقائد المصريين[2] .

وبشكل عام فالديانة المصرية القديمة لم تكن من صنع مفكر واحد، بل كانت نتاج عام للعديد من التيارات اللاهوتية والسياسية، ولم تكن هناك ثمة سلطة مسيطرة بشكل كاف طوال التاريخ المصري القديم؛ لكي تختصر كل العقائد المحلية وتوحدها في اطار لاهوتي واحد، أو فكري شامل يفرض على كل المصريين القدماء، بمختلفِ انتماءاتهم الإقليمية أو الطبقية، والمصريون كغيرهم التمسوا الاتصال بقوى فوق طبيعية، وارتأوا، أن أَفضل السبل إلى ذلك، هو اختيار إِطار أو محور محدد، يمكن أن تتجمع فيه الصفات والنعوت التي تعبر عن هذه القوى، الخارقة[3].

المبحث الأول : خلق الكون

الإنسان المصري القديم الذي تحيط به مظاهر الطبيعة، قد تصور حوله قوى إلهية، تقطن العناصر الكونية، وعلى رأسها الأرض والسماء والأثير وفيضان النيل فضلاً عن الشمس والقمر، فهذه القوى التي تجسدت بفعل خياله، في هيئات بشرية بلورت العديد من الآلهة الكونية ذات الأهمية. وطبقاً للخيال المصري القديم فقد أُسقط على هذه المعبودات سلوكاً إنسانياً، ولم تكن هذه الآلهة والكون الذي تشغله خالدة باعتقاد وجود سابق لها لا نهائي، فهي حقاً متواجدة في الحاضر، ومظاهر الطبيعة تكررت في الماضي، وهذه الاستمرارية في الماضي يفترض قيامها في أزمان بعيدة سحيقة، لكن المنطق المصري القديم تطلب وجود لحظة أزلية ما، تخلقت فيها العناصر الكونية والآلهة المختلفة للمرة الأولى بالضرورة، أطلق عليها(بدء الخلق) أو(الوجود الأول أو نشوء العالم المرئي)[4]. وهنا استطاع رجال الفكر والدين منذ فجر التاريخ؛ وبعد أن أخذت تلك الآلهة الكونية تحتل مكانتها في نفوس المصريين القدماء، أن يقدموا اساطير في أربعة مراكز حضارية، عن تفسير النشأة الأولى للخليقة، وكانت هذه المراكز الأربعة على التوالي : عين شمس، والاشمونيين، منف، وطيبة.

إن الصدارة في أي مجمع للآلهة تكون في العادة للآلهة المسؤولة عن الخلق، وليس مجمع الآلهة المصرية استثناء من هذا رغم وجود أساطير متعددة ومتنوعة عن الخلق. ولا شك أن أسطورة **(هليوبوليس= عين شمس)** كانت أوسعها انتشاراً[5]. حيث قالت بماضي سحيق لم تكن فيه أرض ولا سماء ولا أرباب أو بشر، إنما عدم، لايشغله سوى كيان مائي لا نهائي عظيم أطلقوا عليه

اسم نون، ظهر منه روح إلهي خالق هو (أتوم)[6]، إنه الإله الخالق الأول هو أتوم الذي أتحد في هوية واحدة مع إله الشمس (رع)[7]. والبشر ولدوا من دموع الإله (رع) الذي أتجه إليه المصريون بالعبادة، في كل صباح، فهو رب النور لديهم، ويزيل عنهم الآلام، ويمنحهم الطلاسم والتعاويذ التي تقيهم من مخاطر الأرواح الشريرة[8]. وتقول الأسطورة أن (أتوم) atum خرج من عماء المياه الذي يسمى نون nun، ثم ظهر فوق تل ثم صعد فوق حجر على هيئة رمز شمس، وظل هكذا حيناً من الدهر منفرداً وذرأ من نفسه عنصرين، الإله (شو) Shu تكفل بالفضاء والهواء؛ والإلهة تف نوت أو تفنت Tefenet تكفلت بالرطوبة والندى. وكان إله الهواء شو هو الذي زج بنفسه بين إلهة السماء (نوت (nut) وزوجها إله الأرض (جب geb) وبذلك فصل السماء عن الأرض، وهنا تمثل للمصريين الانجاب الطبيعي[9]؛ حيث قالت الأسطورة إنه من اتحاد (أتوم ورع) ثم خلق أول زوج من الآلهة هما (شو) إله الهواء و(تفنوت) إلهة الرطوبة ومن هذين ولد جب إله الأرض، ونوت إلهة السماء، ومن تزواجهما ولد أربعة آلهة كل اثنين منهما على طرفي نقيض من الآخرين الأول هما : (أوزيريس إله النيل ، وإيزيس إله الأرض الخصبة، أما الزوج الثاني فهما : (ست) إله الصحراء ، ونفتيس الأرض القاحلة المجدبة)، وجميعها تكون ما يسمى عند المصريين القدماء التاسوع المقدس[10]، وهذا التاسوع يرجع إلى قوى الطبيعة المؤثرة ؛ وكانوا يعتقدون أن لهذا التاسوع روحاً يحيا بها إنها (مآت) أبنة رع إله الحقيقة والعدالة، وأن كل هذه الآلهة خرجت من فم رع وكذا جميع الناس، ويبدوا أن هذا الأساس الذي قامت عليه هذه العقيدة ليس إلا أساساً فلسفياً يقوم على الفرض العقلي المجرد، إنهم افترضوا أن العزو الأول الذي تكونت منه الأشياء هو الماء، لا آلهة ولا ناس؛ لأنه هو العنصر الأول المشتمل على كل العناصر الأخرى في الكون، وأول من ظهر من الماء هو (رع) الذي لم يلبث أن تمركز وكون الشمس، ذلك الكوكب العظيم الذي من فعله ظهر التاسوع المقدس[11].

أما أن بداية خلق الكون كانت انبثاق الأرض من الماء فيبدو أنها فكرة وردت على نحو طبيعي على أذهان سكان وادي النيل الذين يستلهمون في بعض الأحيان جزراً من الطين تظهر في النيل. وهناك وجه آخر لعقيدة هليوبوليس يتعلق بالقوى الخلاقة للإله الأول (أتوم) فلابد لجميع القصص التي تدور حول نشأة الكون أن تواجه مشكلة هي كيف نشأ الخلق الأول إذا لم يكن هناك سوى خالق واحد، ثم كيف خلق هو نفسه؟! ذهب المصريون إلى أن آتوم ظهر إلى الوجود بأن أوجد ذاته،

فهو إذاً انجب ذاته نفسه لكن كيف أصبح أباً للإله شو والإلهة نوت؟ تم ذلك عن طريق السعال أو البصق.. وفي سياق آخر يصف الإله نفسه بأنه ثنائي الجنس، إنني أنا إنتي أنا هو–وهي[12].

أسطورة الاشمونين أو الثمانية* كانت أكثر تطوراً من سابقتها، حيث ردت أصل الوجود إلى ثمانية عناصر طبيعية أولية سبقت ظهور (رع أتوم) ومهدت لوجوده، وتعصب هؤلاء لعناصرهم الثمانية وأطلقوا عليها الثامون، وتقول أسطورة الاشمونين أن إله الشمس لم يخلق نفسه، وإنما انحدر من ثامون مكون من أربعة ازواج على هيئة ضفادع وحيات، خلقت بيضة ووضعتها فوق مرتفع، ومن هذه البيضة خرجت الشمس، فهذه العقيدة تنتهي إلى الشمس، ولا تبدأ منها؛ وآلهة الاشمونين الثماني كانوا عبارة عن أربعة ذكور في هيئة الضفادع وأربع اناث في هيئة حيات، وكل منهما مثل مظهر من المظاهر التي كانت تسود العالم في البداية، فالزوج الأول هو(نون) (ونونية) ويمثل الفراغ اللانهائي، والزوج الثاني هو (حوح) (وحوحة) ويمثل الماء الأزلي، والزوج الثالث هو (كوك) (وكوكة) ويمثل الظلمة، والزوج الرابع(نيساو) ونيات وأمون وأمونيت ويمثل الخفاء، وهؤلاء الثمانية خلقوا العالم مجتمعين، حكموا العالم فترة، ثم انتقلوا إلى العالم السفلي، وتتفق أسطورة الاشمونين مع نظرية عين شمس في أن العالم كان محيطاً مائياً اسمه (نون). غير أنه حصلت ظروف ساعدت على بقاء هذا المذهب طي النسيان، منها: أن أُمور السياسة في الدولة القديمة كانت لا تتقبل الإقليمية، كما أن رجال الفكر والدين في الدولة القديمة حين دونوا موسوعاتهم، في القرن الخامس والعشرين ق م، كانوا من أنصار (رع) ومذهب التاسوع فتجاهلوا مذهب خصومهم من أهل "اونو" ولم يذكروا غير أربعة من أسماء عناصره، ولم يستطع أهل اونو في مقابل منافسة أهل الشمس غير تسجيل أربابه الثمانية في عدد من النصوص دون شرح أو تفصيل[13].

أسطورة منف، استطاع الملك مينا أن يؤسس الأسرة المصرية الأولى، وأن يقيم لمصر حكومة قوية حوالي 3200 ق.م، عاصمتها منف، وسرعان ما بدأ أهلها يهتمون بتفوق مدينتهم؛ لأنها أَصبحت المقر الملكي ومركز ديني يفوق غيره؛ حيث تذهب أسطورة منف إلى أن ربها **(بتاح)** – بمعنى الفتاح أو البناء ويلقبونه بتثانن أي الأرض العالية – روحاً خلقت نفسها، ومسبباً للأسباب التي أنتجت كل شيء وكل كائن مادي في السماء والأرض والعالم السفلي، وهو الخلاق القديم، وأن الأرباب الأخرى هي صور من بتاح، وأنه منذ أن استوى على عرشه لأول مرة كان روحاً للكيان

المائي بكل ما احتواه من ذكر وأنثى. والمنفيون جعلوا إلههم (بتاح) على رأس التاسوع المكون من تاثثن ثم أتوم ونون ونونة، ثم أربع من آلهة أخرى هي : (حور وتحوت)، ثم نفر توم والثعبان، واعتبر المنفيون أن الإله أتوم أقل شأناً من بتاح[14]، وبالتالي فكل ما اتصف به أتوم من خصال استمدها من بتاح، فإن أسنانه التي تفل بها خلقاً شو وتفنوت قد استعارهما من (بتاح)، وسلبوا (أتوم) من قدرته على الخلق إذ أن القلب واللسان ليسا إلا من بتاح[15]، وهذان كانا يمثلان حور وتحوت، وقد خلق اللسان (أي تحوت) كل شيء بواسطة الكلمة، وأن الربوة العالية التي وقف عليها أتوم هي **منف**، وأرتأت أسطورة منف أن (بتاح) هو الأصل والجوهر، وأن الأرباب صوره وأقانيمه فحق له أن يتميز عنهم حيث ظل بمثابة القلب واللسان لهم جميعاً، وأن الإله بتاح لم يخلق الأرض فحسب بل خلق النظام الاخلاقي وأنه مارس عمله في الخلق عن طريق القلب واللسان.[16]

أسطورة طيبة تقول بقدم المنشأ وقدسية الطبيعة لمدينة طيبة يكفل لها على أنها الموطن القديم للبدء والخلق، دون أي مدينة أخرى فقالوا بأزلية الموطن، وكذا الشيء نفسه بالنسبة لربها آمون، فأعلنوه ملكاً للأرباب جميعاً، وجعلوه المصدر الأزلي القديم، وأعطوه الصفة العالمية، وردوا إليه ربوبية النشأة الأولى والأخيرة، فهو رب الوجود وهو الإله الاكبر الذي أوجد ذاته بذاته، ولم يكن هناك إله غيره ليخلقه، وليس له أب ولا أم، ولد في الخفاء، واستمر فرداً وتخير لنفسه مكاناً خفياً استقر فيه، وظل أمره خفياً حتى اطلق عليه ألقاباً ثلاثة: آمون بمعنى الخفي، وآمون رنف بمعنى خفى الاسم، وكم آتف بمعنى الذي أتم عهده، ورمزوا إليه بهيئة الثعبان، وظل أمره هكذا حتى اتجه إلى خلق الأرض، وبعد ذلك يغادر مقره القديم ويتزود بقدرة الخلق والاخصاب، واتجه إلى الاشمونيين وخلق الارباب الثمانية، وأصبح آمون رباً للهواء وحفيظاً على مقومات الحياة، والديانة المصرية القديمة في مجملها لم تتصور خطة محددة لخلق العالم، فهناك أسطورة مادية تقول: إن خلق الانسان مرده إلى دعوة (خنوم) وصوروه جالساً إلى دولاب الفخار يسوي الأجنة من صلصال، وردوا الخلق إلى ثلاث من الربات: (حقت ورننت ومسخنت) وكانت حقت تصور بالأنثى، ورننت المربية، ومسخت ربة الوضع والولادة، وأسطورة أخرى تقول: إن الخلق كان من رغبة الإله وأمر بها لسانه، وأخرى تقرر أن الإله خلق الناس على صورته، وأخرى تعتقد أن الناس خلقوا من عيني الإله وأرسلهم إلى الأرض بدموعه[17]

المبحث الثاني : عبادة الآلهة

أكد المؤرخ اليوناني هيرودوت أن اهتمام المصريين القدماء بكل الأمور المتصلة بالعقيدة قد تجاوز المقاييس، وهذا لمدى ما يؤدون من الطقوس والتي تهدف إلى عبادة الآلهة، حيث إنهم خصصوا لها الاحتفالات الدينية المتصلة بعبادتها قدراً عظيماً من الوقت والجهد، فهم آمنوا بأنهم أمة مقدسة ملوكهم آلهة متجسدة؛ واعتقدوا بأنهم نسل الإله الاكبر، وأنهم جاءوا من صلبه مباشرة، وأن الآلهة عندما أمسكت عن الحكم على الأرض اخلفت بعدها انصاف آلهة؛ وبالتالي إن عبادة الآلهة مضت في مصر القديمة جنباً إلى جنب مع تأليه الملوك وإن عبادة الراحلين منهم قد حازت بنفس القدر من القداسة التي لعبادة الأرباب، وبالتالي فلقد أظهر المصريون القدماء تشبثاً بالعقيدة في كل عصورهم ليس بسبب عبادتهم وإنما بسبب تعدد وتنوع أَربابهم؛ فقد عبدوا حيوانات وطيور وزواحف الخ...، وجمعوا بين جميع الحيوانات والأرواح والكائنات الحية جنباً إلى جنب مع قوى الطبيعة ووصفوها جميعاً بكلمة نيتر (neter) والتي يمكن ترجمتها إلى (آلهة)[18]. وبالتالي فعندما يتصل المرء لأول مرة بعالم الآلهة في مصر القديمة فإنه يقع في شيء من الحيرة أمام هذه الوفرة من المعبودات والحيوانات الإلهية. والآلهة التي تتخذ – في كثير أو قليل– شكل الحيوان، ويدور في خلد المرء اتجاه هذا الخليط المتراكم من الأوصاف والنعوت والشعارات، أن يفكر في ديانات مصرية وليس ديانة مصر؛ وما يلفت النظر هو الدور الذي تقوم به الآلهة المحلية فقد كان لكل مدينة أو إقليم أو مقاطعة ألهتها الخاصة بها[19].

أولاً الآلهة الأسطورية القديمة: ومن أشهرها:

1– الإله أوزيريس: اسم أوزوريس مرتبط بكلمة "ووزر" التي من شأنها أن تعطي معنى "الجبار"[20]، وهو من أعظم الآلهة المصرية، إله القيامة ورمز الخلود، ورب الموتى، وفي عام 2500ق.م أصبح إلهاً كونياً ثم إلهاً قومياً.[21] وبما أنه الإله العالمي ، فإن أماكن عبادته لا تقتصر على أي منطقة واحدة في مصر ولكنها توجد في جميع أنحاء وادي النيل[22]، وترجع عبادته إلى ما قبل التاريخ، وأنه كان في الأصل إلها زراعياً، قدم هو وزوجته اوزيس عند هبوطهما في صورة بشرية من مدينة طيبة حيث نزلا عند كاهن، ولا يوجد بطيبة في تلك الفترة معابد كثيرة ولا تماثيل؛ وتجمع الناس حولهما مبهورين، بتلك الملامح التي ينطق بها ذاك الإنسان الهابط من السماء، وأحس

الناس أنهما ليسا من سكان الأرض، فأحاطوهما بالتبجيل والتقديس، فسمع الملك بهما وسأل الكاهن عنهما من أين جاءا؟ وهل أتيا بالقوارب عن طريق النيل أم البر؟ وازداد الناس حيرة فيهما، خاصة بعد أن أصبحا يوسيان الضعفاء والمصابين[23] .

2- الإلهة ايزيس: إلهة الحكمة والتشريع، وتلقب بسيدة السحر وهي أم حورس[24]، وهي أشهر الآلهة المصرية، نشأت أول الأمر في الدلتا، ورد ذكرها في قصة اوزيريس، ومن ذلك الوقت فقدت طابعها واحتفظت بصفة زوجة الإله اوزيريس[25]، أَصبحت تزدهر عبادتها بدرجة وافرة وبدون حدود عقائدية في كل مكان وفي كل العصور[26]. وفي الترنيمة العظيمة لاوزيريس تصورها كطائرة ورقية تحمي الإله بريشها، والنسيم المنبعث من جنحيها يوفر له التنفس ، ثم تعمل كحارس على الإله ويظهر هذا بشكل بشري تمد ذراعيها إلى الأمام على هيئة أَجنحة لتلائم الإله اوزيريس؛ وهي حالة تبين نظر المصري القديم إليها كمثال أعلى لتفاني الزوجة؛ وكان ينظر إليها أيضاً على أنها الإبط الحيوي بين الآلهة والملوك حيث إن الملك حورس يشرب من اللبن الملكي من ثديها، وبهذا عرفت بدورها كإلهة تحمي المواليد الملكية.[27]

3- الإله حورس: هو ابن أوزيريس، واوزيس، وهو الإله الأعظم، ويصوره المصريون على هيئة صقر ، انتشرت عبادته في كل أنحاء مصر، وربما كانت عبادته الأقدم فيها[28]، وبهذا تمكن من السيطرة على جميع المعبودات حتى صار إله النيل، وأسكنته الأسطورة في السماء وجعلت له عينين، ولكن أوجدت له نداً هو(ست) إله الشر حيث حقد عليه؛ لأنه يضيئ العالم ليلاً ونهاراً وبذلك راح يطاره ويطعنه في عينيه، وكان من أثر ذلك خسوف الشمس وكسوف القمر[29].

4- آمون : الإله البدائي والإله الأعلى للآلهة المصرية ؛ ويبدو أن اسم آمون مرتبط بالكلمة التي تعني "إخفاء" وهذا يدل على أفكار المصريين الخاصة حول طبيعة الإله؛ لتفسيرها على أنها "المخفي " وهناك احتمال آخر هو أن اسم الإله يأتي من الكلمة الليبية القديمة "أمان" نظرًا لأن المصريين القدماء لم يتمكنوا من تثبيت الإله في "اسم توضيحي" واحد ، فقد شددوا على تعقيده من خلال الأيقونات البشرية للإله التي هي في الحقيقة اعتراف من المصريين، بأن شكله الحقيقي يستعصي على التمثيل البصري، وحتى الآلهة الأخرى لا تدرك مظهره الحقيقي؛ فغالبًا ما يكون لآلهة أخرى أسماءها التي تنطوي على مظهر رئيس، إلا أن التركيبة الثابتة لاسم آمون لا تقدم

مثل هذا الدليل البصري؛ حيث يتلاءم مفهوم اختفاء الإله باعتباره شكل غير مرئي.[30]. وهو إله محلي في مدينة طيبة، وفيها شيد معبده الضخم، ثم أصبح إلهاً من المرتبة الأولى، ولقب بملك الآلهة ورب الارباب.[31]

5- الإله رع: إله الشمس، من أقدم الآلهة المصرية أقاموا له معبداً ذو طابع خاص، إذ لم يكن له في معبده صورة له، وإنما حجر مقدس يوضع في فيناء المعبد، لاعتقادهم أن الشمس ترسل أشعتها عليه، وبهذا أصبح هذا الإله رمزاً من الرموز الدينية والملكية، فكان هو الخالق على الدوام، ولقد توحد مع آلهة أخرى، ثم توحد مع أتوم في صيغة واحدة هي (رع أتوم)، ويعتبر رع هو رئيس مجلس الآلهة[32]. واكتسب رع أهمية كبيرة حيث تحوي معظم أسماء ملوك الاسرتين الرابعة والخامسة(2780-2400 ق.م) على العنصر رع.[33]

ثانياً: الآلهة الحيوانية: بالإضافة إلى عبادة الآلهة الاسطورية عبد المصريون القدماء الحيوانات، وكان ذلك نتيجة لطبيعة مصر القديمة واستواء أرضها، والنيل الذي يحف جوانبها ووسطها كل هذا ساعد على التفكير في آلهة أخرى، خاصة بعد أن بدت لهم هذه الآلهة على شكل حيوانات، فاتخذت كل قبيلة وجماعة إلهها الخاص بها من حيوانات البيئة، مثل العجل، الصقر، البقرة الخ..، فكانت ابيدوس تعبد آوى، والفيوم تعبد التمساح، وطيبة تعبد الكبش، ومنف تعبد اللبؤة وعجل ابيس الشهير، وغيرها من الجماعات والاقاليم، عبدت القرد، وفرس النهر والحيتان[34]، وعمل لها أماكن خاصة تقدس فيها. واختيار الحيوانات في العبادة يكون حسب الحاجة والتأثير، وهذه الحيوانات كانت موزعة على الاقاليم، ربما يكون الغالب منها في تلك البيئة أو ذو تأثير كبير هو ما جعلها محل اهتمام وتقديس ، مثلاً عبدو التماسيح في المناطق التي تكثر فيها، وعبدو الصقور في الوديان، وعبدو الذئب في مناطق التلال، وأشار بعض العلماء إلى عنصري الرهبة والرغبة من ضمن الأسباب؛ لتقديس الحيوانات، بينما يرى بعضهم الآخر أن السبب هو الحروب بين القبائل، حيث كانت كل قبيلة تأخذ لنفسها رمزاً تقاتل لأجله[35]، والحيوانات كانت تعبد لعلامات في جسمها يعرفها الكهنة، بحيث إذا مات الحيوان المختار لحلول الآلهة فيه عم الحزن في مصر القديمة، ثم بعد ذلك انتقلت عقيدة الحلول إلى أن الآلهة تحل في نوع الحيوان كله، فكل البقر مقدس، وكل القطط مقدسة، والتماسيح مقدسة،[36] وعقيدة الحلول الآلهة في الحيوان نشأت نتيجة لاعتقادهم أن

الروح تعود بعد الموت فتقيم في المومياء، وبالتالي يقدمون لها أنواعاً من العبادة والتقديس، وذلك أنها ظروف حلت فيها شخصيات الإله الأعظم[37]، وبالتالي فلم يعبدوا الحيوانات، على أنها رمز الآلهة بل عبدوها على أنها من الآلهة نفسها[38].

ثالثاً الآلهة البشرية: كان للمصريين آلهة بشرية أيضاً، اعتقدوا بحلول الإله فيهم، ويبدوا أن هذا الاعتقاد، ظهر بين المصريين القدماء حينما وحد الملك مينا الأول الشطرين القبلي والبحري عام (3200ق.م)، وأعلن أن روح الإله حلت فيه، وفض بذلك النزاع القائم بين الشطرين، وتقبل الناس الفكرة، واعتقدوا في ألوهيته التي قال بها ضمناً، فقدموا له الولاء والطاعة والتقديس، ومنذ ذلك الوقت اعتقد الناس أن الملك هو الروح التي تبعث الحياة في الدولة، وأن كل ما يحدث فيها هو من وحيه، فهو الإله الأعظم في تصورهم، والذي تجسد في صورة بشرية، وتقبل الناس هذه الفكرة، فجمعه للبلاد تحت حكمه هو السبب في ذلك، فالأحوال السياسية تدخلت بطريقة دينية سعت في انتشار بعض المعبودات الجديدة، فالقبيلة المنتصرة تتميز بأن معبودها له السيادة والذيوع والطاعة والعبادة، فالملك إذاً وجد في انتصاراته سبباً في نسبة الألوهية إليه، خاصة وأن عقيدة الحلول كانت مسيطرة على الفكر المصري القديم، فبدل أن يكون حلول الإله في الحيوانات والطيور، أصبح حلوله في البشر وليس أي بشر إنما هو في الملك المنتصر المسيطر[39]. ويعتبر عصر مينا الأول تحول كبير في العقيدة المصرية القديمة، ونقطة تحول من عبادة الآلهة الأسطورية إلى عبادة الملوك؛ وأرتفع مينا الاول إلى مرتبة الإله، وتقبل الناس الفكرة وقدموا له الكثير من ألوان العبادة والتقديس[40]. كل هذا كان له بيئة حاضنة من ناحيتين الأولى طبيعية، والثانية سلوكية حيث إن فكر الناس في تلك الفترة كان متأثراً بكل ما هو غريب واسطوري وقوي، ومن ثم تنقلت عباداتهم من قوى أُسطورية، إلى حيوانية، ثم بشرية، ترى في كلها أنها نموذجاً للآلهة التي تحرك كل الكون، خاصة عندما أصبح هذا المحرك له سلوك واقعي عيني، فأصبح يشبع حاجاتهم الروحية والتي بدأت من تحقيق انتصارات على الأعداء، إلى تكوين ملك قوي، فقدموا فروض الطاعة والولاء له، فرأوا في هذا البشر روح الإله متمثلة فيه، فاعلة به. وبهذا الإيمان تم تقديس الملوك الفراعنة البشريين.

المبحث الثالث : التوحيد

لتوضيح هذه العقيدة عند المصريين القدماء، رأينا ذكر الثالوث المصري القديم بشكل مفصل – بوصفه عقيدة تثليث– مما سبق في المبحث الأول، حتى يستبين للقارئ فكرة التوحيد في تلك الفترة والتي كانت بدعوة وضعية وليس إلهية، حيث إن الثالوث من أشهر الأساطير في تراث الديانة المصرية القديمة أسطورة ثالوث الآلهة ايزوريس إله النيل وزوجته ايزيس ألهة الخصوبة وحورس ابنهم؛ هذه الاسطورة التي قدمت فكرة الإنسان المؤله وفكرة الإله المجسد في هيئة إنسان، وهي فكرة تقديس الآباء في مصر الذين يمثلون الثالوث المصري المقدس[41]. وتذكر الأسطورة أن اوزيريس حكم القطرين القبلي والبحري، مما أثار حقد أخيه ست ودفعه ذلك إلى أن ويضعه في صندوق وقطعه، ورمى كل قطعة من جسده في مقاطعات مصر، ولكن ايزيس زوجته وجدته، وبتعويذة سحرية أعادت له الروح، وأنجبا ابنهما حوروس ثم غادر اوزيريس هذه الحياة إلى الحياة الأخرى حيث يرأس المحكمة التي تتولى حساب الناس على أعمالهم بعد الموت. بعد ذلك يحتدم الصراع بين حورس وعمه ست الذي ينكر نسب ابن أخيه؛ ويرفع ست اله الشر دعوى أمام محكمة الآلهة، وتهب ايزيس مدافعة عن ابنها وشرفها، فتقضي المحكمة بثبوت النسب بشهادة توت إله الحكمة، ولكن النزاع لا ينتهي، ففي الوقت الذي يكون عمل حوروس في العمارة يتجه عمل ست إلى التدمير وترتب على ذلك ما شهدته مصر من تناحر بين الوجهين القبلي والبحري؛ واستمر الحال إلى أن ظهر الملك مينا الأول، فجمع في سلطانه حكم مصر العليا والسفلى الوجه البحري والوجه القبلي ولبس تاج الإمارتين وأعلن أن الإلهين قد حلا في جسده؛[42] وبذلك يرى المصريون القدماء أن الثالوث الفرعوني يتكون من ثلاثة آلهة أو ثلاثة أقانيم وهي الإله الأعظم (أوسيري) أو اوزيريس وهو الاب الإله الأعظم؛ والإله (حور) وهو الأبن[43]. ولد من نار اللاهوت من عجلة بكر لم تلد سواه، وهو حمل ذنوب وخطايا العالم[44]؛ والإله ايزيس(أسين) وهي الأم أو الوالدة فكانوا يعتقدون أنهم وإن كانوا ثلاثة إلا أنهم يعملون معاً . ويعتقدون أنها ملكة السماء وقد رمزوا لها بصورة طائر وعلى رأسه صولجان ورسموا بجانبه علامة الحياة، وهم يشيرون بذلك إلى أن الإله ايزيس باعثة الحياة للبشر، كما صوروها امرأة جالسة على عرشها ترفع ابنها وعلى رأسها تاج الملك وقرص الشمس[45]، فالعقيدة المصرية القديمة إذاً كانت قائمة على تقديس ثالوث مكون من

أوزيرس (الأب) وحورس (الإبن) وإيزيس (الأم)، كما يعتقدون أن الجميع يرجع إلى واحد[46]، فهذه العقيدة إذاً معروفة عند قدماء المصريين تدل عليه آثارهم، كما يقول تنير : فقد كانوا يعبدون إلهاً مثلث الاقانيم مصورة في أقدم هياكلهم ويظن أهل العلم أن الرمز الذي يصورونه وهو جناح طير ووكر وأفعى، إن هو إلا إشارة إلى ذلك الثالوث مع اختلاف صفاته(الثالوث المسيحي)[47].

ولما حكم مصر الفرعون امنحوبت في الفترة من(1369-1353 ق.م) وهو صغير لم يتجاوز الثانية عشرة، وقد مر بتجربة روحية، قادته إلى عرض عقيدة جديدة وإيمان جديد على مجتمعه، وبدأ بالإعلان عن معتقده، وبهذا أحدث ثورة دينية، تقول بترك المعبودات القديمة المتعددة والدخول في معبود واحد في شكل قرص الشمس، فترتب عن ذلك عداء مع الكهنة القدماء، فحاولوا القضاء عليه وحدثت ثورة بسبب التحرر من وصايا سلطان الكهنة، واستبدال كل آلهة الدولة بإلهه الجديد الذي دعى له، حيث أغلق المعابد القديمة، وقدم الإله الجديد(آتون) قرص الشمس، وأعلن نفسه الكاهن الأعلى له، وأبدل اسمه باسم اخناتون(أي آتون المستحب)، فأصبحت عبادة آتون هي الدين الرسمي للدولة، ولكن كهنة المعبد القديم تآمروا عليه ، فترك طيبة، وبنى عاصمة جديدة وأطلق عليها (أخيتاتون)، ولما ثبت فيها سلطانه، أعلن نفسه نبي (آتون)، وأنه وحده يملك وضع الطقوس والأناشيد، وأكد أن إله الشمس هو الوحيد في الكون، ولكن دعوته لم تصمد طويلاً حيث الكهان القدماء والمعتقدات القديمة كانت أشد رسوخاً، بالإضافة إلى أنه استند على فئات ضعيفة متضررة من أرستقراطية الكهنة، فتحالف الكهنة مع الجموع الذين سرعان ما تحولوا للعبادة القديمة، وهكذا انتهت دعوته[48]، وهذا حصل بعد موت الملك اخناتون، فلم يستطع الملوك من بعده صيانة دعوته، وتبعها أن محيت النقوش الخاصة بالإله (آتون)، وأعادوا اسم (آمون)، إذ أن الذين جاءوا من بعده غلبت عليهم آلهتهم ومبادئ قوميتهم[49]، ولكن هنا يجب الإشارة إلى أن دعوة امنحوتب للتوحيد، ليست هي دعوة إلى الله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد، وإنما كانت دعوته وضعية رقمية بمعنى تقليص الآلهة وجعلها في إله واحد يكون هو كاهن له.

ولكن من جهة أخرى، فإن المصريين عرفوا التوحيد، ولكنهم لم يكونوا في الجملة موحدين، إذ أن هذا لا يتفق مع ما تنطق به آثارهم، فإنه من المحال أن يتصور العقل البشري الباحث في آثارهم، أنهم قد دانوا بدين واحد خلال خمسين قرن، أو أنهم اعتنقوا عقيدة واحدة، فلقد تعددت آلهتهم كما

سبق ذكره، وتغابرت معبوداتهم، فكان لكل مدينة إلهها الذي تعبده دون غيره، ويبدو بهذا أن مكانة الآلهة كانت تابعة لمكانة المدينة و وعليه لم تكن كل الآلهة لديهم بمرتبة واحدة، بل تبعاً للمراتب السياسية للمدن والمقاطعات، إذاً فظاهرة التعددية كانت سائدة في مصر القديمة، تتأثر بها قوة وضعفاً، وقد دام آمون مسيطراً إلى أن جاء عهد الهكسوس ودخل أنبياء الله تعالى مصر ، سيدنا ابراهيم، وسيدنا يوسف[50]، ثم سيدنا يعقوب ومن هنا يمكننا القول أيضاً أنهم عرفوا التوحيد في فترات تخللت حياتهم[51]، وسمعوا لبعض دعوات التوحيد الخالص أو استجاب بعضهم لها حيث نقرأ في القرآن الكريم عن سيدنا يوسف أنه نشأ في مصر، وفيها مكن الله تعالى له في الأرض، وفي سجن ألتقى بصاحبيه ودعاهما لتوحيد الله تعالى يقول الله تعالى : (**وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (38) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** (40) (سورة يوسف الآية 37 39) ، ثم إن سيدنا يوسف قد استقدم أبويه وإخوته إلى مصر وهم موحدون لله تعالى، وعاشوا فيها فترة ليست بالقصيرة، فدعوة سيدنا يوسف قد تناقلتها الأجيال، ونجد ذلك في القرآن الكريم، على لسان مؤمن من قوم فرعون الذي طلب من قومه أن لا يقتلوا نبي الله موسى عليه السلام[52]، وأن يؤمنوا به يقول تعالى : **(وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (30) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (31) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (32) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (33) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (34)** سورة غافر

الآية 28–33، ثم كانت دعوة سيدنا موسى بين يدي فرعون، حينما جاء يطلب منه الخروج ببني اسرائيل من مصر يقول تعالى :(**فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (22) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (28))** **سورة الشعراء**. ثم إن دعوة التوحيد وجدت طريقها أيضاً إلى زوجة فرعون آسيا يقول الله تعالى : (**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11) سورة التحريم.**

إذاً التوحيد بدايته من امنحوبت الذي دعا المصريين لترك كل هذه الآلهة الكثيرة ويتجهوا لعبادة واحد منها فقط وهو آتون، إلهه الذي نصب نفسه كاهناً له، فهذه الدعوة للوحدة فقط، أي تقليص هذا الكم الهائل من الآلهة المعبودة وتلخيصها إلى إله واحد بدلاً من تلك. يعني توحيد في الرقم وليس في التوحيد، لأن التوحيد الخالص لله تعالى هو الذي دعا إليه أنبياء الله تعالى الذي أرسلهم إلى فرعون.

المبحث الرابع: الموت والحساب

اعتقد المصريون القدماء بوجود حياة أخرى بعد الموت، مستندين في ذلك إلى أن حياة الدنيا هي مزيج من الخيرات والشرور، وتتم معرفة الخير من الشر بأن يتم احضار الأعمال الدنيوية لكل من الاخيار والاشرار، والتي تكون مقدمة في سجل وتعرض على (أوزيريس) إله الموتى وحاكم العالم السفلي، وعلى الميت أن يبرر موقفه أمامه، وتقام المحكمة في قاعة يرأسها (أوزيريس) ، ومن حوله اثنان وأربعون قاضياً، ويشرف (تحوت) على الميزان، الذي توزن فيها أعمال الميت، فمن ترجح كفته كانت له حياة سعيدة، ومن رجحت كفة سيئاته يلقى إلى حيوان مفترس لميزقه، ويبقى أبد الدهر في قبره[53].

وهناك معضلة في العقيدة المصرية القديمة لها علاقة وثيقة بالموت، وهي حينما آمن الناس بألوهية الملك ظهرت لهم عملية موته، وهذا الموقف الواقعي، يتعارض مع عقيدتهم التي تنفي موت الإله وأنه في حالة خلود، فكيف يستقيم أن يموت الإله، والملك عندهم هو الإله؛ لأن أول ما يثبته العقل البشري للإله هو الديمومة والخلود، لذا فعقيدتهم ترفض فناء الإله الملك، ولكن كهنة المعبد، وجدوا حل لذلك، كيف ولا وهم صناع الدين الرسمي للدولة ولفوا حوله الاساطير والخرافات؛ لكي يعتقد فيه الناس، فأعلنوا أن الفرعون لا يموت كما يحدث للبشر وإنما حين يعجز جسمه عن النشاط تخرج منه روح القدس(روح حورس) لتحل في ابنه الشاب فروح حورس هي التي تحكم كل هذه الأجسام المختلفة المسماة بالفراعنة، والتي أطلق على كل منها اسم خاص في الظاهر فقط؛ ولكن ظل الجدل قائم إذ كيف يوفق بين ما تزعمون وبين العقيدة القديمة التي تؤمن بأن الفرعون لا يموت ومن هنا قرر الكهنة أن روح حورس ذات ثلاث شعب :

1- الروح الدنيا التي تحل في فرعون الزمان فيضي بها الأرض والحياة، وهي تنتقل منه إلى أبنه الذي يليه.

2- الروح التي تبقى في جسد الفرعون الميت، ومن خلالها يقوم بالأشراف والنصح لأبنه الفرعون الحي الذي خلفه على الملك[54].

3- والروح العليا لا تبقى في جسد الفرعون بل مكانها السماء.

وهكذا حل كهان المعبد هذه المعضلة عند الناس بحيث يبقى للعقيدة هيبتها وقبولها وبقائها، ويقتنع الناس بأن الخلود مازال خاص بفرعون الإله.

ويعد كتاب الموتى الكتاب الأعلى عند المصريين القدماء، إذ يزعمون أنه من تأليف أحد الآلهة، يتضمن مجموعة من الفضائل الدينية والاجتماعية وكانوا يحرصون على حفظه وتلقينه، حتى تستطيع الروح الدفاع عن نفسها أمام محكمة الآلهة، فكان المصريون يتعبدون بتلاوته أحياء ويوضع معهم في قبورهم، والكتاب يشمل على ما يجب للميت من تحنيط وطقوس دينية مايقوله الميت الذي أقيمت له الطقوس التي يدعوا إليها الكتاب ،يقول : تحية لك يا أبي أوزيريس، لقد حنطت لحومي هذه ولن يتحلل جسمي، فأنا كامل غير ممسوس، مقتدياً بك يا أبي، حبذا الإله في صورة رجل لا يتحلل جسمه[55].

وتروي أسطورة الحساب بأن الإله بتاح بشر ساتني ابن فرعون أوزيناريس بأنه سينجب ولداً يأتي بالخوارق، وفي ذات كان الولد المعجزة سنوزيريس يسير مع والده في موكب مختلط بصوت البكاء في طريقه إلى مدافن ممفيس، وإذ بميت آخر يعبر الطريق ملفوف في خرقة قديمة، ولا موكب ولا احتفال، ونظر الاب إلى السماء قائلاً : يا أوزيريس يا سيد العالم الآخر اكتب لي دخول الموت في عظمة وجلال هذا الغني، فنظر إليه ولده وقال له : إنني متمني لك ميتة هذا الفقير، وتألم ساتني، ولكن الابن قال: تعال معي لأطلعك على مصير هؤلاء، وانطلق به إلى جبل ممفيس ودخلا من فجوة ضيقة داخل الجبل، وهبطا إلى قاعة كانت بداية لقاعات أخرى، حيث شاهد ساتني جماعة من الناس الغني والفقير، والقبيح والجميل، وقوماً تأكل وأخرى لا تستطيع، ثم انتقل إلى مكان آخر، وكان باب يرتكزعلى عين رجل يصرخ، وخلفه اناس يبكون، ثم كانت قاعة أخرى وفيها يتم انعقاد محكمة الموتى برئاسة الإله أوزيريس وتبدأ عملية الحساب. ومن هذه الأسطورة نلاحظ أن الرجل المصري القديم يعتقد في الموت والحياة بعده، ولذلك حرص على المحافظة على جسده حتى تتعرف عليه روحه وتعود إليه بسهولة، وهكذا اقتضت فكرة البعث إلى إقامة طقوس جنائزية، ومن هذه الطقوس تحنيط الجثة وتهيئة القبر بوضع الطعام والشراب، وبعض المؤن الأخرى من حاجيات خاصة، ومقتنيات يحتاجها الميت، وبالتالي المصري القديم لم يخش الموت إنما كان بانتظاره، عن طريق الاعداد له[56].

الخاتمة

حاولنا في هذه الورقة البحثية أن نبين دور الاساطير في تشكل الفكر الديني المصري القديم، الذي شكل عقائد المصريين القدماء؛ ودوره في الحضارة المصرية في تلك الفترة، وكذلك التعرف على بعض العقائد– التي تناولتها الورقة_ التي كونتها تلك الاساطير، والتي أسهمت بشكل كبير في نشأة الديانة المصرية القديمة، على اعترافنا أن البحث في ديانة موغلة في القدم ليس بالأمر الهين، ولا نزعم أننا قد سيطرنا على الموضوع بشكل كامل، ولهذا سعينا لإبراز أشهر الآلهة والعقائد الدينية القديمة الشهيرة، فالفكر الديني القديم لا يمكن أن يكون مرحلة عابرة وكفى، بل أنه ترك أثره في تلك العقائد؛ خاصة التي درستها هذه الورقة البحثية، وحاولنا قدر الامكان أن نلفت الانتباه

إليها، خاصة وأنها في تصورنا تعتبر مؤثر كبير في بعض الديانات الوضعية الأخرى، من حيث الفكر الديني والسياسي. وهذه الدراسة أوضحت جملة من النتائج :

1- فالعنصر الديني عندهم يمثل قوة روحية دفعتهم إلى نسج الاساطير التي فكرت في خلق الكون.

2- أن للآلهة مكانتها الجغرافية ولها الخصوصية الجماعية والقومية.

3- الاتجاه بالعبادة إلى تلك الآلهة بتقديم القرابين والتبرك بها.

4- الاهتمام بحياة الموت وهذا ظهر في مقابرهم وما يضعون فيها .

5- وجود تشابه كبير بين الثالوث المصري القديم وعقيدة التثليث عند النصارى اليوم وهذا يفسير تأثير الديانة المصرية القديمة على الفكر الديني عند النصارى.

6- التوحيد الذي ظهر عندهم ليس إلا توحيد رقمي إذا جاز لنا التعبير وليس توحيد سماوي.

قائمة المصادر والمراجع

[1] – حسن نعمة، ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني، لبنان، السنة (بدون) ص99.

[2] – ابراهيم محمد ابراهيم ،الاديان الوضعية في مصادرها المقدسة، ط 1، مطبعة الأمانة، مصر، 1985م، ص52،53.

[3] – يارو سلاف تشري،الديانة المصرية القديمة، ترجمة أحمد قدري، ط1، دار الشروق،القاهرة، 1996م، ص45،46

[4] – يارو سلاف تشري،الديانة المصرية القديمة، المرجع السابق، ص48،49.

[5] – جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبدالفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، 1993م،ص36.

[6] – محمد بيومي مهران ،الحضارة المصرية القديمة، الجزء الثاني ، ، ط 4، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1989م، ص303

[7] – جفري بارندر، مرجع السابق، ص36.

[8] – هنية مفتاح القماطي، الفكر الديني القديم، ط (1)، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، 2003م،ص67.

[9] – جفري بارندر، مرجع سابق،ص36.

[10] – هنية مفتاح القماطي، مرجع سابق، ص68

[11] – ابراهيم محمد ابراهيم ،الاديان الوضعية في مصادرها المقدسة، مرجع سابق ص 65،66.

[12] – جفري بارندر، مرجع سابق،ص57.

* – العدد ثمانية التي عرفت به مدينة الاشمونين يشير إلى الآلهة الثمانية التي كان موطنها الأصلي مدينة أونو وقد نطق في المصرية القديمة خمون، وكانت خمنو (الاشمونين) عاصمة الاقليم الخامس عشر من أقاليم

الصعيد وقد عرف باسم أقليم الأرنب وقد أطلق الاغريق على المدينة اسم (هرموبوليس) أي مدينة هرمس اسم الإله اليوناني المقابل للإله تحوت إله الاشمونين. محمد بيومي مهران ،الحضارة المصرية القديمة، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص 310

[13] – محمد بيومي مهران ، مرجع سابق، ص 311، 310

[14] – المرجع نفسه، ص 315– 321.

[15] – ادولف ارمان، ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة، ترجمة عبدالمنعم ابوبكر، محمد انور،مطبعة مصطفى البابي، مكان النشر(بدون) سنة النشر (بدون) ص106

[16] – الحضارة المصرية القديمة ، مرجع سابق، ص 318، 319.

[17] – المرجع نفسه ، ص 323–326

[18] – والاس بيدج، آلهة المصريين، ترجمة محمد حسين يونس، ط بدون ، مكتبة مدبولي القاهرة، سنة (بدون)ص23–26

[19] – فرانسوا ديماس، آلهة مصر، ترجمة زكي سوس، الهيئة المصرية للكتاب، 1998م، ص22،23.

[20] – The Routledge Dictionary of Egyptian Gods and Goddess, Second edition, G,hart ,routledge,London,p115.

[21] – هنية مفتاح القماطي، مرجع سابق، ص74

[22] – G.hart,op.cit ,p122

[23] – لطفي وحيد، أشهر الديانات القديمة، مكتبة معروف، القاهرة، السنة(بدون) ص 26،27

[24] – هنية القماطي ، مرجع سابق، ص74

[25] – ادولف ارمان، مرجع سابق، ص 59.

[26] – اريك هور نونج، ديانة مصر الفرعونية، ترجمة محمود ماهر طه، مصطفى ابوالخير، دار النشر(بدون) سنة النشر (بدون)ص 83،84

[27] – G.hart ,op.cit، –p80,81

[28] – هنية القماطي ، مرجع سابق، ص74

[29] – رؤوف شلبي، الاديان القديمة في الشرق، ط2، دار الشروق، مصر، 1983م، 254.

[30] G.hart ,op.cit ,p13,14

[31] – هنية القماطي، مرجع سابق، ص74

[32] – سعيد مراد، المدخل في تاريخ الأديان، عين شمس للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، ص47،48.

[33] – إريك هورنونج، ديانة مصر الفرعونية، ص 88

[34] – لطفي وحيد، أشهر الديانات القديمة، مكتبة معروف، القاهرة، السنة(بدون)، ص25،26

[35] – أحمد علي عجينة، دراسات في الاديان الوثنية القديمة، ط(بدون)، دار الآفاق العربية، 2004م، ص87-89

[36] – محمد أبو زهرة، الديانات القديمة، دار الفكر العربي، 1965م ص15،16

[37] – أحمد علي عجينة ، مرجع سابق، ص 90

[38] – محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص14

[39] – أحمد علي عجينة، مردع سابق،91-93

[40] – محمد أبو زهرة، مرجع سابق،ص11، 12

[41] – حسن نعمة، ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني، لبنان، السنة (بدون) ص99.

[42] – محمد أبو زهرة، الديانات القديمة، ص11،12

[43] – Doane, the bile myths and their parllels in other religions, Facsimile Edition, Kessinger Publishing, LLC,1996, p 474

[44] – محمد أحمد الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ط1، دار القلم، دمشق،1413هـ، 1992م،ص 102.

[45] – محمد مجدي مرجان، الله واحد أم ثالوث،ط(دون) دار النهضة العربية، القاهرة، السنة(دون)،ص 79،80.

[46] – محمد أبو زهرة، مرجع سابق ، ص12

[47] – محمد طاهر التنير ، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، دار الشواف، السعودية،1992م،ص 55.

[48] – هنية القماطي، مرجع سابق،ص 81-83

[49] – رؤوف شلبي، مرجع سابق، ص 264، 265

[50] – المرجع نفسه، ص260

[51] – ابراهيم محمد ابراهيم، مرجع سابق، 53،54

[52] – المرجع نفسه، 55،56

[53] – هنية مفتاح القماطي، مرجع سابق، ص 76

[54] – ابراهيم محمد ابراهيم، مرجع سابق، ص 63-65

[55] – ابراهيم محمد ابراهيم، مرجع سابق، ص 73،74.

[56] – هنية مفتاح القماطي، مرجع سابق، ص 77-80